غرائب العادات

في بولينيزيا

اذا غادر الانسان شبه جزيرة ملقا والجزائر المجاورة لها وضرب شرقاً وجد جزائر كثيرة منتشرة في الاوقيانوس الباسيفيكي مقسومة الى مجاميع مختلفة من اشهرها جزائر ساموى وتهيتي وهواي وزيلندا الجديدة

وقد اتصل الاوربيون بسكان هذه الجزائر منذ مئة سنة ونصّروهم فاهملوا شعائرهم الدينية وابطلوا الكثير من عاداتهم القديمة الاّ اذا اجتمعوا في حفلة واحتدم الهوس فان عواطفهم تتغلّب حينئذٍ على عقولهم فيعودون الى بعض العادات التي ابطلوها

ومن اشهر عاداتهم القديمة واكثرها شيوعاً الوشم الذي كانوا يغطون ابدانهم به ويحسبونهُ من الكماليات ومن لوازم الرؤساء فانهم كانوا يتفننون في اشكالهِ وكان لهُ عندهم صنّاع ماهرون في رسم رسومهِ . ولا يتم وشم بدن الانسان في اقل من بضعة اشهر ومتى اخذ الوشام يشم بدن انسان وقف البنات حولهُ ينشدون الاناشيد لكي يسهّلنَ عليهِ ويخففنَ آلامهُ

وكان اهالي جزائر مرشال يشمون ابدانهم جماعات في وقت واحد وتقدّم التقادم حينئذٍ للآلهة الوشم وهي من ارفع الآلهة مقاماً . ومتى وشم الرئيس من اهالي زيلندا الجديدة بدنهُ امتلأ قداسة وحُرّم عليهِ ان يمس شيئاً حتى طعامهُ اذا مسهُ نجّس منهُ فلا يأكل بيدهِ ولا يشرب بل يطعمهُ رجل من اتباعهِ ويسقيهِ بثمع مزخرف يضعهُ في فمهِ ويصب فيهِ الماء . وكان لوشم الرؤساء شان في ما جرى بينهم وبين الاوربيين حينما نزلوا بلادهم من الامور الرسمية فان الحجج التي كانت تكتب لابتياع الاراضي كان يوقعها الرئيس برسم شكل الوشم الذي على وجههِ كأنهُ العلامة المميزة لهُ فهو بمنزلة الختم والتوقيع (الفرما)

وكان سكان زيلندا الجديدة يعلقون باعناقهم تمثالاً صغيراً من اليشب Jade يمثل طفلاً قبيح المنظر يعتقدون انهُ صورة جدهم الاعلى ويتوارثونهُ خلفاً عن سلف كذخيرة مقدسة . ولم يزل عند بعضهم من هذه التماثيل وهم يقالون بها جدًّا . وعندهم افراط من حجر اليشب يشنفون بها آذانهم

ويبالغ سكان جزائر مرشال في لبس الاقراط ويثقبون شحمة الاذن ثقباً كبيراً يوسعونهُ رويداً رويداً حتى يمر رأس الانسان في ثقب اذنهِ . ويلبس اهالي ساموى عقوداً من اسنان الحيتان ويشترك اهالي هذه الجزائر كلها في حب الازهار والتجمل بها ولاسيما اهالي جزائر

هواي فانهم يضفرون اكاليل من الازهار كل يوم يكللون بها رؤوسهم . واذا اراد واحد منهم السفر وخرجوا لوداعه غمروه بالازهار . وكانوا يضفرون الاكاليل من ريش الطيور المزوقة وينظمون العقود من الصدف ويتحلون بها . واغرب حلية عند اهالي جزائر غلبرت اسنان احد الاسلاف تنظم عقداً . وكان اكثر لباسهم مقاطع مضفورة ضفراً من لحاء الاشجار او محبوكة كالحصر . ولا يزالون يلبسون ثيابهم مثل هذه اذا رقصوا اما الآن فثيابهم العادية من المنسوجات الاوربية . والظاهر ان لبس الثياب الاوربية اضرّ بهم لانهم كانوا قبلاً لا يلبسون شيئاً من وسطهم فما فوق وكانوا يطلون ابدانهم بزيت النارجيل تخفيفاً لوطأة الحر فلما ابطلوا ذلك نشت فيهم النزلة الوافدة وذات الرئة

اما اهالي زيلندا الجديدة فكانوا ينسجون الكتان ويصنعون ثيابهم منهُ حينما دخل الاوربيون جزيرتهم وكان لباسهم فوطة تغطي العورة ورداء مزدانًا بريش الطيور يلقى على الكتفين . وكان عندهم ستون نوعاً من الكتان وكانت صناعة الحياكة من الصنائع المقدسة يتعاطاها النساء وقلما يتعاطاها الرجال وتعليمها منوط بالكهنة وهم كما علموا فرعاً منها تلوا الصلوات والتراتيل والعزائم . وسواء حاكوا ثيابهم من الكتان او ضفروها ضفراً من الخوص ونحوه تفننوا في نقشها وترشيتها

والعادة عندهم انهُ اذا دنا وقت ولادة المرأة عادت الى بيت ابيها لتتنفس فيهِ ومدة النفاس قصيرة جدًّا فلا يمضي عليها بضع ساعات بعد ولادة طفلها حتى تنهض وتذهب بهِ الى البحر وتغتسل معهُ . واول شيء يطعمهُ الطفل عصار جوز الهند بعد مضغهِ ولا يطعم غيرهُ بضعة ايام حتى يصيرلين امعهِ صالحاً لهُ على رأيهم وذلك بان يمزجوا شيئاً من لبنها بالماء ويرموا فيهِ حصاة محماة فاذا تخثر ولو قليلاً قالوا انهُ لا يزال غير صالح . وكانوا في الزمن القديم يتدون النبات ولاسيما في تهيئتي حيث بلغ من حب بعض السكان للصوف ان صاروا يكرهون تربية اولادهم فيقتلونهم حال ولادتهم ذكوراً كانوا او اناثاً . اما اهالي ساموى فيهتمون بتربية الاطفالهم ويحتفلون بكل طور من اطوار نمو الطفل اي اذا ابتدأ يجلس واذا ابتدأ يدب واذا ابتدأ يقف واذا ابتدأ يمشي وهلم جرًّا

وكان اولاد الرؤساء في زيلندا الجديدة يتعلمون في مدرسة كبيرة يعلمهم فيها احد الكهنة السابهم واقانيص دياناتهم وتاريخ امتهم . وعمل الصبيان مساعدة والديهم في الصيد والزرع وعمل البنات مساعدة امهاتهن في جمع المحار من ساحل البحر واستقاء الماء من الآبار ونسج المنسوجات وضفرها . ويتعلم الصبيان الطبخ في ساموى

وكلهم مولعون بالرقص ولهم فيهِ تفنن عجيب فيحركون ابدانهم كلها او يكتفون بحركات ايديهم وهم جلوس . ويدعو اهالي البلد الواحد اهالي بلد آخر للاجتماع والتنافس في الرقص وحينئذٍ تسبي ابنة الرئيس لمة كبيرة من الشعر على رأسها مزدانة بصدف اللؤلؤ فوق جبهتها كما ترى في الشكل المقابل ويجلس وراء الراقصات جماعة من المغنيات يوقعن الحانهنَّ بالنقر على عقد القنا الهندي . ويدلو رقص الجالسات رقص الواقفات فيقلن بهِ الاعمال المختلفة كصيد السمك ورقص الزلاحف وما اشبه

وحركات الراقصات غاية في اللباقة وقد تمتد شهرة البارعات منهنَّ في الاقطار . ويمسك الراقصات الزيلندبات ازراراً من الكتان معلقة بخيوط قصيرة يضربن بها اذرعهنَّ وسوقهنَّ لتقسيم الوقت وتوقيع الرقص . وعندهم رقصة يشترك فيها اربع بنات يجلسن في شكل مربع ومعهنَّ عصي يتجاذفن بها من الواحدة الى الاخرى على اشكال منتظمة وهنَّ يغنين . ويرقص البنات في هواي لابسات مآزر الاوراق واكاليل الازهار كما كنَّ يلبسن قبلما اتصل اللباس الاوربي الى تلك البلاد . اما رقص الرجال فمن الرقص الحربي تبدو فيهِ القوة مع المهارة والرشاقة

وعندهم العاب كثيرة غير الرقص كاطارة الطيارات وادارة الدوامات وطرح الاحاجي ورمي الاكر والكجات والترجح بالارجيح . والغالب ان تجلس فتاة في الارجوحة ويبنما هي تترجح ذهاباً واياباً بسرعة فائقة يثب فتىً ويتعلق بالارجوحة ويصعد معها حتى اذا عادت الارجوحة بها الى قرب الارض تركها ووثب غيرهُ مكانهُ

ومن اشهر العابهم واشدها خطراً سباق القوارب ووثبها فوق الحواجز فانهم ينصبون خشبتين قائمتين في النهر ويعارضونهما بخشبة ثالثة تعلو قدماً فوق الماء ويصنعون القوارب لهذا السباق طويلة قريبة القاع فيركب الشبان القارب ويسرعون بهِ وهم يجذفون بكل جهدهم الى ان يصلوا الى الحاجز فيتكئ واحد منهم على موخرهِ فيرتفع مقدمهُ فوق الحاجز ويشتد الباقون في التجذيف فيثب القارب من فوق الحاجز وقد ينقلب بهم او يعجز عن الوثوب . ويشترك الفتيات مع الفتيان في هذا السباق فيباريهم فيهِ . ولهم العاب اخرى بحرية يطول شرحها وتدلُّ كلها على انهم كانوا اهل ظرف وطرب يقضون اوقاتهم في اللهو واللعب واغتنام فرص الزمان لا همَّ بدنيا يشغلهم ولا خوف من آخرة يقلقهم

ومن عاداتهم القديمة في الخطبة والزواج ولاسيما اذا كان الخطيبان من اولاد الرؤساء ان يذهب الخاطبون من قبل اهل الخطيب الى بيت الفتاة التي يريدون خطبتها ليتفقدوها فاذا

امرأة من الواري اهالي زيلندا الجديدة

التوبو او المضيفة

التقبيل بفرك الانف

المقتطف مجلد ٤٣ صفحة ٣٤١

راقت في اعينهم عادوا واتى وفد آخر ومعهُ الهدايا فاذا قبلها ابو الفتاة ولم تبدِ الفتاة اقل ممانعة حسب ان الغاية قد تمت واستعد الفريقان لولائم العرس واذا رفض الوالد اخذ الهدايا ولكن الفتاة لم تظهر الاباء جاء وفد ثالث اعلى شأناً من الوفد الاول والثاني واتى معهُ الخطيب نفسهُ. فاذا اصرَّ ابو الفتاة على الرفض جاء ابو الخطيب باعوانهِ واتباعهِ وحينئذٍ يضطر ابو الفتاة ان يرضى بتزويج ابنتهِ . وبعد اقارب الخطيب الهدايا الكثيرة لاقارب الخطيبة ويهيئُ اهل الخطيبة لها جهازاً فاخراً من الثياب ونحوها ويتبادل الفريقان الهدايا وتولم الولائم ويعود الخطيب الى اهلهِ وعروسهُ معهُ و يبنى لهُ بيت في مكان مرتفع مواجهٍ لبيت ابيهِ

والزواج في كل هذه الجزائر هذي محض لا اثر للشعائر الدينية فيهِ يقوم بالهدايا والولائم وبعض الرسوم . ففي جزائر كارولين يختار الفتى عروسهُ ويأتي بها الى بيت ابيهِ فتفرك امهُ ظهرها بزيت النارجيل وتضع اكليلاً على رأسها فيكون ذلك بمثابة عقد شرعي . واهالي جزائر غلبرت شديدو الغيرة على نسائهم حتى اذا كلَّم رجل امرأة فقد لا يسلم من يد زوجها ولذلك ترى كثيرين منهم وفي ابدانهم ندوب الجراح من خصام سببهُ الغيرة . واذا صعد رجل منهم الى رأس نخلة اضطر ان ينبي وهو فيها باعلى صوتهِ ويقال ان سبب ذلك ان رئيساً من رؤسائهم رأى رجلاً في رأس نخلة فظن انهُ صعد اليها ليشرف على نسائهِ وكن يغتسلنَ فرماهُ وقتلهُ ومن ثم جرت العادة ان كل من يصعد الى رأس شجرة ينبي باعلى صوتهِ حتى يسمعهُ نساء الرؤساء ويحتجبنَ . والرجل الذي يتزوج هناك بامرأة يحق لهُ ان يتزوج بكل اخواتها اللواتي هنَّ اصغر منها اذا شاء وعلى كل حال لا يجوز لاحد ان يتزوج باحدة منهنَّ الاَّ برضى من تزوج باختها الكبرى

والتقبيل غير معروف عندهم فاذا التقى اثنان اخوان او اخوان او صديقان فرك احدهما انفهُ بانف الآخر وذلك بمثابة التقبيل عندنا

وكانوا يدفنون موتاهم دفناً قبل مجيء الاوربيين ويجمعون عظام الرؤساء من اسلافهم ويضعونها في سلال متقنة الصنعة . والغالب ان تكون قبورهم منتظمة في قرافاتهم وعلى كل قبر منها اكمة كبيرة او صغيرة حسب درجة الميت . وقد يضعون على القبر بعض امتعة الميت الثمينة فلا يمسها احد . ويعتقدون ان نفس الميت تبقى في الارض قريبة من بيتهِ ويخافون منها خوفاً شديداً ويقتني بعضهم الكلاب حتى تطرد نفوس الموتى بنباحها ليلاً ولكن اهالي بورين لا ينظرون الى نفوس موتاهم بعين الخوف بل يبنون اكواخاً فوق القبور ينامون فيها لكي تزورهم ليلاً في احلامهم

وموت الرؤساء شأن كبير عندهم حتى لقد تتعطل مصالح الناس بموت رئيسهم . واذا اجتمع اقارب الرئيس واعوانهُ بعد موته وخيف ان يتقاصموا على الخلافة جاءت اختهُ وجلست بينهم ومنعت الخصام لانهم يعتقدون أن لعنة الاخت اشد ضررة يمكن ان تقع على رأس احد . ويحلقون على رؤوسائهم حداداً عاماً وكانوا قبلاً يضربون رؤوسهم بالحجارة ويخدشون وجوههم بانياب كلاب البحر او يقطع الواحد منهم اصبعاً من اصابع يديهِ حداداً على قريب لهُ

واذا قُتل واحد من اهالي ساموى اجتمع اقاربهُ حول البقعة التي قتل فيها وبسطوا ملاءة بيضاء على الارض واول ذبابة او حشرة تقع فيها يقبضون عليها لاعتقادهم ان نفس القتيل فيها ثم يدفنونها معهُ في قبره

وقد بطل الآن اعتقادهم بالهة البر والبحر والجو والحرب وبما كان اكثر شيوعاً عندهم من كل شيء آخر وهو الحرم او التحريم فاذا حرموا شيئاً او قالوا انهُ محرَّم ابتعد عنهُ كل احد واعتقد انهُ صار محرَّماً . ولهم في التحريم اساليب شتى يظل اكثرها الآن على انها كانت نافعة جدًّا لانها من قبيل اثبات الحق الشرعي ومنع الاعتداء

ومن العادات القديمة التي لم تستأصل حتى الآن بل لا تزال شائعة عندهم الاعتقاد بالسحر فيسحرون الانسان بخرقة من ثيابهِ او خصلة من شعرهِ او فضلة من طعامهِ . ومنها العرافة لاكتشاف الخفايا والسرقات وهي كالعرافة الشائعة عندنا في المتدل وضرب الرمل

ومن المناصب المهمة في جزائر ساموى وظيفة التوبو اي منيفة القرية . ويعطى هذا المنصب لابنة الرئيس الكبرى ما دامت عزباء ولها مقام رفيع بينهم حتى كأنها الآمرة الناهية بين قومها . فتربّى على القيام بكل الواجبات الاهلية كاقامة الولائم وتدبير حفلات الرقص واستقبال الزوار وشرب القهوة . وتلبس على رأسها لمَّة من شعر الرجال وهي العلامة المميزة لها وتراقب سيرتها اشد المراقبة لانها يجب ان تكون حصينة رزينة لا لوم في سيرها وسيرتها

وقهوتهم شراب يستخرجونهُ من نبات كالزنجبيل وكانوا يصنعونها بمضغ جذر هذا النبات ومزجهِ بالفلفل اما الآن فصاروا يسحقونهُ سحقاً بالحجارة ويستخرجون عصارتهُ . ولشرب هذه العصارة رسوم كثيرة عندهم يضيق المقام عن وصفها

وكانت اسلحتهم الرمح والمقلاع والنبوت . اما القسي والسهام فكانوا يستعملونها لصيد الجرذان لا للحرب . وكانت سنان رماحهم من اسنان كلب البحر . ونسجوا الدروع من الياف النارجيل وغطوها بجلد القنفذ وصنعوا الخوذ من جلود السمك الكروي الشائك ومن تدرَّع منهم كذلك لم تفعل بهِ اسلحتهم